# ٣ ـ في مقالين :

## هل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للاستاذ محمود أحمد الغمراوى

معذرة أيها الأستاذ الكريم ، وعتبا !

لم أقصد — شهد الله — أن أهمز أو ألمز ، أو أرمى بعبارة ، أو أومىء بإشارة ، إلى ناحية الرسالة ، أو مكان رئيسها العزيز الكريم . وما كنت يوما بذى وجهين ، ولا أنا ممن يتكلمون بلسانين ، وأرجو أن يكون الله يعلم ذلك منى ولم يكن للرسالة عندى ، وليس لصاحبها الجليل فى نفسى ، إلا التقدير والاحترام ؛ وإلا ما عنيت من أنه ابن الأزهر البار ، البارع الفن ، المعتدل الرأى ، الذى يعده الأزهر فيمن يعدهم من مفاخره ، ويعتز بهم جنودا يدفع بهم عن كونه فى مستقبله وحاضره ! ؟

إنما كان من سوء حظى وسوء حظ الأزهر أن جرى قلم الأستاذ الفاضل برأى لم يسبق للأزهر أن سمعه فيما سمع من دعاوى تقام عليه ، وتهم توجه إليه ، وسهام تصوب عليه . وآخر ما كان يجرى على ألسنة أولئك الذين يرون الأزهر قذى فى الأعين وشجى فى الحلاقيم : أن الأزهر تنقصه الثقافة ، وتعوزه اللباقة والحصافة : وأنه لا بد من توحيد تخريج العلم ، ليصقل خريج الأزهر بصقال العصر الحديث . هذا أشد ما كانت تلوكه ألسنة المتجنين على الأزهر أو ترمى به نبال الجانين عليه : سمعناه غير مرة فيما شهدناه من مجالس اجتمعت فيها لجان ألفت لبحث ما كان يسمى بمشكلة تخريج العلم ؛ على أننا لم نسمع من أحد ممن جلسنا معهم من أعضاء هذه اللجان وتحاورنا معهم : لم نسمع من أحد من هؤلاء ، وهم من كبار رجال المعارف المسئولين ، وعظمائهم المعدودين ، لم نسمع كلمة منهم تومىء إلى مثل ما جاء فى الرسالة من أنه يجب تعديل نظام التعليم فى الأزهر تعديلا يقتطع ست سنين من مدة التعليم فيه لتحقق وحدة الثقافة التى تتوقف عليها وحدة الأمة .

فهل بلام الأزهر إذا جزع لسماع هذه الكلمة وإذا رآها مكتوبة فى إحدى صفحات الرسالة بقلم مديرها الفضال ؟

يا لهول الموقف ! نظام الأزهر القائم يأبى وحدة الثقافة ولا يرضاها ، ووحدة الثقافة تتوقف عليها وحدة الأمة !

أليس معنى ذلك أن نظام الأزهر القائم خطر على وحدة الأمة لأنه يأبى ولا يرتضى الثقافة التى تتوقف عندها وحدة الأمة ؟ وهل هذا إلا إلقاء الأزهر فى فوهة المدفع ؟ ومن ذا يستطيع أن يكون حجر عثرة فى سبيل وحدة الأمة ؟

وهل الأزهر : أرضه ، وسماؤه ، وبناؤه ، ورجاله ، وأبناؤه إلا فداء الوطن والعرش ، وبناة وحدة الأمة : يفدون الوطن والعرش بحياتهم وأرواحهم ، ويشيدون بناء وحدة الأمة بعقولهم وجسومهم ، ودمائهم !

أجل ، إنه كان من سوء حظى ومن سوء حظ الأزهر أن تسطر هذه الكلمة بقلم الأستاذ الزيات ، وأن تقرأها أعين الناس على صفحات الرسالة . فإذا كان فيما كتبت ما رأى الأستاذ فيه تعريضا ، فإن ذلك موجه إلى الرأى وحده ؛ وليس موجها إلى رائيه أو حاكيه ، فإنى لا أرتاب فى حسن نيته ، ثم أعود إلى الموضوع .

٢ — إنشاء جيل قادر على الاجتهاد والتجديد :

إنشاء جيل من العلماء العاملين القادرين على الاجتهاد والكشف عن حكم الدين ويسره ، وسماحة الشريعة فيما تضمنته من الأحكام هو أمنية كل مؤمن ونشدة كل مسلم يود أن تكون الأمة الإسلامية حيثما توجد جماعاتها عزيزة فى أوطانها ، سعيدة فى حياتها ، تستمد القوة والعزة من اعتصامها بالدين ، وتجد طمأنينتها وسعادتها فى ظل شريعته الوارف الظليل ، وتدفع الظمأ بما تستنبطه من ينابيع هذه الشريعة العذبة الموارد الغزيرة الفيضان . ولقد كان الأزهر من أهم المدارس الدينية التى يرجى أن تسعف الأمة بحاجتها من أولئك العلماء المبرزين ، وقد أخرج للأمة كثيرا من كبار رجال العلم فى مختلف العصور ممن يشار إليهم بالبنان من الفقهاء وحفاظ الحديث ، وعلماء اللغة ، ورجال القضاء ممن أوفوا بطلبة الأمة إلى هذا العهد الأخير على قدر زمانهم .

أما الاجتهاد فى الدين فليس من حق الناس فى هذا الزمان

أن يتطلموا إليه ، أو يتكلموا فيه وهم لا يعنون بشئون دينهم ، عنايتهم بنظافة أحذيتهم ؛ وقد جعلوا من سفائن البحر مراكب ليقطعوا بها المهامه والفلوات ، وأعدوا من النوق والأبعرة سفنا يشقون بها عباب بحر الظلمات . ثم هم لا يريدونه دينا يرقى بالإنسانية إلى ذروتها العليا ، ويسمو بآخذيه إلى أعلى منازل العزة والقوة والمجد ، فلا يرضى أن ينزلوا منها فى المنازل الدنيا ! . ولكنهم يريدون أن يتخذوا لهم دينا على غرار ما كان يتخذ بعض العرب معبوديهم فى أزمنة الجاهلية ؟

يريدون أن يستخدموا لهم دينا من الحلوى ، إن طاب لهم أكلوه وإذا لم يوافق شهواتهم تركوه !

يريدونه دينا يحطب فى حبال رغباتهم ؛ ويفرّى ما شره من شهواتهم ؛ ويطعمهم الخبيث من لذاتهم ، فهم فى غيهم يعمهون ، وما الله بغافل عما يعملون .

* * *

ثم أعود إلى ما كنت فيه من الحديث عن الأزهر الذى قد وضع فى مفترق الطرق . فاذا كانت مهمته وغايته هى — كما قال الأستاذ الزيات بحق — أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم ، وأن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون — فالأمر بين ؛ والطريق غير مشتبه ؟ فلتترك له نظمه وأقسامه الابتدائية والثانوية تعد الطلاب لدراساته العالية فى الكليات الأزهرية مع تعديل قليل فى وضع المواد التى تدرس فى هذه الكليات وليحمل الطلاب على احترام النظام ودراسة المقررات . وبقاء الأقسام الابتدائية والثانوية على نظامها الحالى الذى يعد الطلاب للدراسة فى الكليات الأزهرية هو الوسيلة الوحيدة التى تمكن الأزهر من أداء مهمته وتحقيق غايته ، كما أن نظام الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية يعد طلاب هذه المدارس للدراسة فى كليات الطب والهندسة والعلوم والزراعة وغيرها كما هو واضح من نظم الدراسة ومناهجها فى هذه المدارس. ومحاولة جعل النظام الدراسى فى معاهد الأزهر الابتدائية والثانوية على غرار نظام المدارس الابتدائية والثانوية التى لوزارة المعارف سيجعل من الخرافة التاريخية التى تروى للأطفال فى قصة الغراب والقطا قصة واقعية نرجو أن لا تمثل فى الأزهر .

إن الأزهر لا تزال فيه بقية من الذماء ، وصبابة فى الإناء ، هى هذه البقية الصالحة من الغراس النافع الذى امتدت بالإحسان به إلى الدين وإلى الوطن الإسلامى العام يد الملك العظيم المغفور له الملك فؤاد ، طيب الله ثراه ، وخلد بأعماله الصالحة الباقية ذكراه ، وجعل الجنة مأواه .

فهذا الغرس الصالح الذى غرسته يد فؤاد المباركة ، وهذه الصبابة النافعة الباقية من بركات يده وسيبه الجزل جديران بأن ينالا حظهما من عطف شبله العظيم ، ورعاية نجله الملك الهمام جلالة الملك فاروق ، أيد الله عرشه وأدام ملكه محروسا بعناية الله ، ليؤتى هذا الغراس العزيز أكله ، ويثمر هذا الزرع المبارك بفضل من عطف جلالته ثمره ، فإن العهد بجلالة الفاروق ( حفظه الله ) الحفاظ بما تركت يد والده من غراس — وكل غراس له صالح ، وتعهده بما يكفل له النماء والبقاء .

وهذا النظام الإصلاحى الباقى فى الأزهر شبحه لم تكلأه عين ساهرة ، بل شغلت الشواغل الخارجة عنه تلك الأيدى الماهرة . ثم انه لم يوضع عفوا ، ولم يجعل لهوا ؛ ولكنه ألفت له اللجان ، وتصافحت فيه المجان ، ورفعت له البنود ، وتزاهت فيه البرود . فمن الحيف عليه ، والتخون لواضعيه أن يوأد وهو وليد ، أو يشوه خلقه وهو غصن جديد .

والأمل معقود بعطف جلالة الملك المعظم فى الإبقاء عليه حتى يشتد هذا الفطيم وينهض قائما على ساقيه ، ويعدو فى ميدان الحياة سباقا على قدميه . وهذا ما ترتقبه للأزهر بهمة شيخه الجديد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وفقه الله وأعانه وحقق على يديه الآمال .

وأختم كلمى كما بدأته بإسداء أكرم التحيات إلى الأستاذ الزيات مدير « الرسالة » ممجداً فيه حرية الرأى ، ورحابة الصدر ، وبراعة الفن ، وبلاغة القلم . والسلام .

محمود أحمد الغمراوى
المفتش بالأزهر
وشيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً